العلاقات الإيرانية السوفياتية

د. عبدالله النفيسي

العلاقات الايرانية السوفيانية

طرات تغيرات هامة في الستينات على سياسات ايران الداخلية والخارجية . فبعد فترة طويلة من الركود بدأت ايران في دخول مرحلة من النمو الاقتصادي والتغيير الاجتماعي المتسارع لم يشهد له مثيل في تاريخ ايران الحديث . بدأت اثر ذلك العلاقات الايرانية السوفيتية بالتحسن المتدرج . ورغم أن سقوط حكومة مصدق وقمع حزب توده الشيوعي امر لا يستحسنه مبدئيا السوفييت ، الا ان ذلك لم يمنعهم من مناقشة قضايا عديدة تهم البلدين : مراجعات حول ترسيم الحدود ، حقوق صيد السمك في بحر قزوين ، مشكلة الذهب الايراني المصادر في الاتحاد السوفييتي،وشركة النفطالايرانية السوفييتيه«١»

وقد كانت موسكو تنظر بكثير من الحذر والتخوف تجاه الحلف العسكري الذي ترتبط به ايران مع تركيا وباكستان. وفي كثير من التصريحات والتلميحات الرسمية وغير الرسمية من جانب السوفييت ، ذكرت ايران انها بناء على معاهدات ١٩٢١ و١٩٢٧ لا يحق لها الانضمام لاي حلف بهدف في التحليل النهائي نحو عمل مضاد للسوفييت (٢) . غير أن اكتشاف السلطات الايرانية لمؤامرة حزب توده الشيوعي داخل الجيش وسلاح الجو الايراني ١٩٥٤ والذي شارك في التخطيط لها الملحق العسكري في السفارة الروسية بطهران ، قد عرضت العلاقات لهزة سرعان ما طوقت من الجانبين بذكاء وواقعية .

وقد دعي الشاه لزيارة الاتحاد السوفييتي ٥٦م— اي بعد تصفية حزب توده الشيوعي — ووقع اتفاقية تجارية لمدة ثلاث سنوات اصبح بعدها الاتحاد السوفييتي في مقدمه المستوردين للصادرات الايرانية حيث كان يستهلك في ٥٧م ٢١ ٪ من جملتها.

وفي ٥٩ م بدأت العلاقات بين البلدين تتعرض للازمة المتوقعة . فقد عرض الاتحاد السوفييتي في مطلع العام على ايران توقيع معاهدة صداقة وعدم اعتداء . الا أن ايران رفضت العرض . وفوق كل ذلك وقعت في مارس من العام ذاته اتفاقية دفاع مشترك مع الولايات المتحدة . بالطبع رد الفعل لدى السوفييت كان عنيفا .حيث سخرت الصحف السوفييتية اعمدة كاملة من صفحاتها لنقد الشاه وسياسته .وكثرت تعليقات القسم الايراني في اذاعة برلين الشرقية — الذي كان يستعين بالشيوعيين الفارين — والتي تدعو المسلمين في ايران « بحذو أبناء علي في الجهاد لازالة الطغيان » . على حد تعبيرهم . وقد رافقت هذه الحملة الاعلاميه السوفييتية مقالات حادة في الصحف المصرية تنتقد الشاه وتنعته بكافة النعوت . مما دفع ايران في النهاية الى قطع علاقاتها مع « الجمهورية العربية المتحدة » آنذاك .

في نهاية اغسطس بدأت تظهر مؤشرات الانفراج في العلاقات بين البلدين . فقد نحي اقبال عن رئاسة الوزارة الايرانية . وعين في محله شريف امامي . وتبادل كلا من الشاه وخروشيف رسائل — مجموعها ستة — فيها رغبة صريحة من الطرفين باعادة العلاقات لطبيعتها . واكد الشاه في اكثر من تصريح أن ايران ترغب في ذلك ، شريطة ان يتحقق التفاهم على اساس متين من الاحترام المتبادل (٣)

وقد كان موقف خروشيف في رسائله الاولى متشددا وراغبا في تضييق حدود التعاون العسكري وغير العسكري بين ايران والولايات المتحدة ، الا انه — ازاء تشدد الشاه من الجانب الاخر — بدأ يؤكد على ضرورة التعايش السلمي بين الشعوب . وقد ادرك كثير من المراقبين السياسيين السوفيات الحكمة في تصرف خروشيف هذا واهتمامه الكبير في تحقيق التفاهم مع الشاه (٤). وعندما زار بريجنيف طهران في نوفمبر ٦٣ م، وقد كانت العلاقات وصلت لحد كبير من التحسن ، صرح بأن ذلك دليل على امكانية تحقيق السلام بين الدول

(1) Laqueur, W.Z., «The Soviet Union & The Middle East.» London, 1959, pp. 207 - 8.
(2) Pravda, July 2, 1954; also March 16, 1955.
(3) Middle East Record, 1960, p. 65.
(4) Kasalkin in «International Affairs» (Moscow), April, 1968.

والكتل . خلال زيارة بريجنيف تم التوقيع على اتفاقيات الترانزيت وترسيم الحدود ،كذلك اتفاقية تقضي بالتعاون الاقتصادي والتقني بما يخص نهري اترك وارس ولاقامة سد في تلك المنطقة الشمالية من ايران . ونوقشت مشاريع اخرى وعد الاتحاد السوفياتي على اثرها ايران قرضا بمبلغ ٣٠ مليون دولار . من نتائج زيارة بريجنيف ايضا تأسيس جمعية للعلاقات الثقافية بين ايران والاتحاد السوفياتي ومقرها الرئيسي في موسكو ، وكان يرأس فرعها في طهران الجنرال جهانباني عضو مجلس الشيوخ الايراني . بدأت اثر ذلك دول اوروبا الشرقية تزويد ايران بالقروض وترسل وفودا عديدة لمناقشة المشاريع المشتركة لتعزيز مرحلة الانفراج السياسي بين ايران والكتلة الشرقية .

ينبغي ونحن بصدد التعرض للتحسن الملموس في العلاقات الايرانية السوفياتية ، ان نتطرق لمحليات السياسة الايرانية واكتشاف طبيعتها ومدى تأثيرها على العلاقات الخارجية . ففترة ١٩٦٠ — ٦٣ م، وهي فترة تحسن العلاقات الايرانية السوفياتية . كانت مرحلة اختبارية بالنسبة للسلطة في ايران . فخلال تلك المرحلة وصلت السلطة لقراراتها باجراء الاصلاحات الفورية في كافة مجالات الحياة في ايران . فلم تكن انتخابات ٦٠م تبشر بالاستقرار السياسي ، وقد دفع ذلك على تجميد المجلس في مايو ٦١م، ولم يدع الاخير لاجتماع الا في اكتوبر ٦٣ م. خلال تلك المرحلة كانت تحكم ايران الارادات الامبراطورية ، ولم تحاول السلطة تغليف الوضع بأي غلاف ديمقراطي . وعندما تولى الدكتور أميني رئاسة الوزارة في مايو ٦١م، وجد نفسه ازاء وضع مالي هزيل مما اضطره لاتخاذ اجراءات سريعة وواسعة في مجال اصلاح الادارة الحكومية وجباية الضرائب وتطهير الجهاز القضائي واعطاء المناصب الادارية في المناطق النائية من العاصمة صلاحيات تنفيذية اكثر . وقد توج الشاه هذه المرحلة الجديدة بتوقيعه على قانون الاصلاح الزراعي (١) .

من الاغراض الاساسية لتطبيق قانون الاصلاح الزراعي كان هو كسر النفوذ السياسي لكبار الملاكين والاقطاعيين . وقد طبق اول الامر في شمال غربي ايران حيث التذمر الفلاحي كان يأخذ اشكالا ناضجة . وخلال المرحلة الاولى من تطبيق القانون وزعت الاراضي في اكثر من ١٥،٠٠٠ قرية وعلى اكثر من ٦٠٠،٠٠٠ فلاح. وقد بلغت مبالغ الاراضي الموزعة ١٣٠،٠٠٠ مليون ريال ايراني ، غير أن ملاكيها لم يعوضوا نقدا بأكثر من ٢،٣٠٠ مليون ريال وباقي المبلغ تم استيفاؤه اسهما في الشركات . وانتهت المرحلة الاولى من تطبيق القانون في اواخر عام ٦٧ م. وبدأت المرحلة الثانية بأمر متوسطي وصغار الملاك ببيع او تأجير اراضيهم اذا زادت عن مساحة ٣٠ — ٢٠٠ هكتار اعتمادا على خصوبة الارض وموقعها في البلاد . وبدأت تتأسس في ارجاء متباعدة من ايران التعاونيات والوسائل الحديثة في زراعة الارض. هذه الاصلاحات في المجال الزراعي ادت الى احداث تغييرات طبقية جذرية في الريف برزت على عريضة من صغار الملاكين . ترتب على ذلك حصول السلطة على تأييد هذه الطبقة الجديدة وبالتالي عزل الاقطاع او بقاياه الذي استأثر في فترة من الفترات بحصة لا بأس بها من النفوذ السياسي حتى بات عاملا ضاغطا على السلطة. الا انه ينبغي ان نوضح هنا بأن تطبيق القانون لم يمر بسهولة. فقد سعى الاقطاع باثارة المشاكل للسلطة في الاماكن النائية عن العاصمة طهران . فأثار بعض القبائل وخاصة قبيلة قشقائي ، واستغل العرب في خوزستان الفرصة لتصعيد مطالباتهم بالانفصال عن الترك الايراني . وبدأت طبقة التجار تبدي تذمرها تجاه السياسات التقشفية التي اتخذها الشاه. اما الانتلجنسيا الايرانية فقد كانت ما تزال تعيش في حالة الاغتراب التي سبقت هذه الاجراءات . في تلك الفترة لم يكن حزب توده قد تمكن من النهوض بعد عمليات القمع التي تعرض لها في ٥٣ — ٥٥ م ولذلك لم يشكل اي خطر تجاه مخططات السلطة الاصلاحية . الا ان الجبهة الوطنية والتي كان في رئاستها سابقا الدكتور مصدق حاولت ان تجهض هذه المخططات ، خاصة وان كوادرها التنظيمية تمثل الشريحة الدنيا من الاداره الحكومية ذات التماسي اليومي اللصيق بتطور القوانين الحكومية وتنفيذها . وفي يونية ٦٣م قامت المظاهرات في انحاء متعددة من ايران يرعاها كثير من الاقطاعيين وطبقة من رجال الدين الذين اثارتهم القوانين التي تجيز للمرأة التصويت السياسي . وكان يساند ويساهم في هذا كثير من رؤوس الادارة الحكومية والعسكرية الذين بدأوا يشعرون بالخطر يداهمهم في عمليات التطهير ، تحقق في تلك الفترة لقاء جبهوي عريض : الاقطاع، الطلبة اليساريين ، طبقة رجال الدين ، التجار ، والقبائل الانفصاليه

(1) Avery. Peter. «The World Today». July 1955.
في هذا العدد مقالة تقييمة لقانون الاصلاح الزراعي .

في خوزستان. مكونات هذه الجبهة وعناصرها تتوحد فقط في معارضتها للسلطة ، لكن من الواضح ان منطلقاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية كانت متناقضة متعارضة في طبيعتها واساسياتها. كانت تلك الفترة حرجة جدا بالنسبة للسلطة وصلت قمتها في التصعيد باغتيال رئيس الوزراء علي منصور في يناير ٦٤ م .

اذن كان من الطبيعي والمنتظر ان تحاول الحكومة الايرانية تخفيف التوتر والاضطراب في علاقاتها الخارجية للتفرغ لتحديات الجبهة الداخلية . وبعد تفهم اوضاع ايران الداخلية نستطيع ان نصل لتفسير معقول للتحسن المطرد الذي كانت تشهده العلاقات الايرانية السوفياتية . وقد استجاب الاتحاد السوفياتي استجابات واضحة لايران طمعا لابعادها عن منطقة النفوذ الاميركي وبالتالي تحييد وتأمين حدوده الجنوبية . قد تكون هناك عوامل اخرى دفعت الاتحاد السوفياتي للسعي في تحسين علاقاته مع ايران ومنها عامل الصراع الصيني في القارة الاسيوية ومخافة وقوع ايران في دائرة نفوذه ومحيط تفاعله ومصدر القلق السوفياتي تجاه ايران كان يتمثل في خوفه من تأسيس قواعد عسكرية اميركية في شمال ايران . الا ان الشاه صرح اكثر من مرة انه لن يسمح باقامة هذه القواعد ، مما دفع المنظرين في الحزب الشيوعي السوفياتي لمساندة الاصلاحات الداخلية التي كان الشاه بصدد تنفيذها بعد ان كانوا قد وصموها في السابق بصفة «الحركة الالتفافية الشاغلة للجماهير عن حقوقها » (١) .

وبدات تظهر مؤشرات لاحتمال بروز تآلف طبقي ينحني لتأييد الاصلاحات . كما ظهر استعداد القادة السوفيات لتقبل فكرة استمرارية الملكية في ايران ، وعدم اكتراثهم بتأسس البرجوازية الجديدة ، شريطة ان تنتهج ايران سياسة خارجية في المنطقة لا تصادم مع مصالحهم المباشرة . اما بالنسبة لحزب تودة الشيوعي فلم يرض بسياسات الشاه الاصلاحية ووصفها « بالمناقضة للروح الديمقراطية » في برامجه الاذاعية التي يبثها من اذاعة برلين الشرقية .وقد كان لموقف السوفييت التفاهمي مع الشاه اثر على وحدة الصف والتنظيم في حزب توده .بعض الشيوعيين في ايران ارتأوا ان الاصلاحات سوف وينتج عنها تحسن ملموس في مستوى المعيشة . وبالتالي تقوية للحكومة المركزية في طهران وتجريد الحزب من مبررات الدعوة للثورة الشاملة الموصوفة مراحلها في مناشيره وكراساته .بمعنى آخر كانت الحكومة من خلال الاصلاحات تحاول ان تخفف من حدة التناقضات الطبقية وتحقيق اكبر قدر ممكن من العدالة في توزيع الارض والفرصة ، بينما كانت مهمة حزب توده المرحلية — كأي حزب شيوعي خارج السلطة — تأزيم التناقضات الطبقية وبالتالي انضاج مبررات الثورة الشاملة على النظام لكن رغم كل شيء كان من الواضح جدا ان موقف السوفييت تجاه الشاه كان متجاوزا لاعتبار حزب توده عقبة في وجه التفاهم بين البلدين ، حيث كان الحزب يعاني من خلافات داخلية حادة جعلت السوفييت انفسهم لا يطمئنون له (٢) . لذلك لم يكن السوفييت على استعداد لوضع اولوية المصالح التكتيكية للتشكيل الشيوعي الايراني ضمن تعاملهم مع ايران الدولة . كذلك ابدت بعض كوادر حزب توده معارضة صريحة لسياسات السوفييت التوفيقية تجاه الشاه .هذا التفكك التنظيمي من جهة والظهر الفكري من جهة اخرى في بنية حزب توده هو الذي ضغط على السوفييت بوجوب تجاوزه وتحقيق التفاهم مع الشاه .

على المستوى الرسمي استمرت موجة تبادل الزيارات على اعلى المستويات . ففي يوليه ٦٥م زار الشاه موسكو ، وفي السنة التي عقبتها زار خمسة بلدان في اوروبا الشرقية : رومانيا يوغسلافيا ، وقد زارهما في مايو ويونيه ، كما زار في سبتمبر كلا من بلغاريا والمجر وبولنده . وفي كل عاصمة كانت مراسيم الاستقبال تفوق في بذخها ومظهرها والحشد لها كافة المراسم التي تعد لزعماء الدول الشيوعية المجاورة ، وهذا بلا شك مؤشر على الاهتمام الرسمي لكسب ود وصداقة الشاه . وفي نهاية كل زيارة كانت البيانات المشتركة تشيد بالجهود التي يبذلها الشاه داخل ايران . هذه البيانات المشتركة وضعت حزب توده موضع حرج حاد لدرجة انه بادر بانتقادها بصفتها مناقضة للروح الرفاقية . من نتائج زيارة الشاه لاوروبا الشرقية كانت اتفاقيات تجارية وقعت في ٦٦ — ٦٧ م بمقتضاها تستورد البلدان التي زارها الشاه ما قيمته ٣٣٥ مليون دولار من الصادرات الايرانية متوزعة كالاتي : بولندة ١٥٩ مليون ، تشيكوسلوفاكيا ١٠٧ ، رومانيا ١٠٤ ، بلغاريا ١٥ . وقد ابدت هذه البلدان اهتماما كبيرا في اقناع الشاه لتسويق المزيد من النفط الايراني في منطقتها نظرا لارتفاع اسعار النفط

(1) Izvestia; Sept. 16, 1962.
(2) Zabih, Sepehr. «The Communist Movement in Iran», University of California Press. 1966, pp. 123 - 161.
يتناول السيد ذبيح خلال هذه الصفحات من كتابه الخلافات الداخلية في الحزب بتفصيل.

الذي يحصلون عليه من الاتحاد السوفييتي .وقد توصلت كلا من من ايران ورومانيا في اغسطس ٦٦ الى اتفاقية بمقتضاها تزود الاولى الثانية بالنفط والاخيرة تزودها على مدى خمس سنوات بالتركتورات مع قطع الغيار اللازمة وبناء مصنع لها وورش لصيانتها . وبذلك حصلت رومانيا على سوق احتكارية لم تكن منافسها في هذا المضمار اية دولة اخرى. الا أن الاتفاقية تعرقلت منذ مراحلها الاولى حيث تبين للخبراء الايرانيين ان التركتورات المنوي تسليمها لايران لم تكن تتوفر فيها المواصفات المتفق عليها ، كما تبين لهم فيما بعد انها كانت معدة اساسا للتصدير الى الصين ولسبب ما لم تصدر .

تبعت زيارات الشاه لاوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي ، زيارات لبعض الرسميين منها زيارة رئيس الوزراء هويده الى العاصمة السوفيتية في ٦٧ م وزيارة كوسيجين لطهران في ابريل ٦٨ م . كما تبادل الزيارات كلا من رئيس وزراء ايران ورئيس وزراء رومانيا ، وزارت شقيقتا الشاه تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفياتي ، وتعددت الوفود البرلمانية والفنية ذهابا وايابا بين طهران والعواصم الشرقية . الا انه لايجب ان نبالغ من اهمية هذه الزيارات والنجاحات المتأتية من ورائها ، ويكفي ان نعتبرها ظاهرة تؤكد ان السياسة الايرانية تشهد مرحلة مراجعة حيث تنحى في اتجاه استقلالي بعيد عن الاعتماد والارتكاز على التوجيه الغربي وقد كان لهذا الاتجاه الاستقلالي المتفرد اثره الواضح على موقع ايران في المجال الدولي والمؤسسة العسكرية الايرانية والاقتصادية الايراني .

ساد طهران في اوساط الستينات جو من الثقة نظرا للتقدم الذي احرزه الاقتصاد الايراني .فبين ٦٤ — ٦٧ م تحقق نمو اقتصادي سنوي بما يعادل ١١ ٪ بينما لم ترتفع تكاليف المعيشة اكثر من ١ ٪ . محصول القمح،والشعير ارتفع من ٣ مليون طن في ٦٢ — ٦٣ م الى ٥ مليون طن في ٦٧ م ، حيث كان لاول مرة تستطيع ايران ان تصدر الحبوب بعد ان تكتفي ذاتيا . ورغم هذا الارتفاع الملموس في الانتاج الزراعي الا ان نسبة من جملة الانتاج القومي اخذت في الهبوط (من ٣٤ ٪ في ٥٩ — ٦٠ م الى ٢٤ ٪ في ٦٦ — ٦٧ م)انظر البرنامج التصنيع المتسارع .الدخل الفردي والذي كان من اوطى النسب في العالم ، ارتفع من ١٩٧ دولار في ٦٥ م الى ٢٢٠ دولار في ٦٧م .وتأسست ثلاثة مراكز صناعية في ايران: اصفهان حيث انشئت مصانع للفولاذ ، وفي اهواز وعبدان تطورت البتروكيماوية ، وفي تبريز حيث قامت مصانع الالات وتركزت . اما بخصوص القروض الخارجية فمعظمها من الولايات المتحدة ، فقد بلغت ١٩٠ مليون دولار من جملتها ٨٣ مليون كانت مخصصة لميزانية الدفاع . وفي نهاية ٦٧ م اقفلت بعثة المعونة الاميركية في طهران مكاتبها بقناعة ان ايران تشهد تقدما ملموسا في اقتصادها وتجارتها الخارجية بحيث لم تعد بحاجة للمعونة (١) .

النفط واستخراجه كانت الصناعة التي فتحت الافاق امام التطور الاقتصادي في ايران . حتى ٥١م — اي تاريخ التاميم في ظل حكومة مصدق — كانت ايران اكبر دولة مصدرة في الشرق الاوسط

لاحداث والتطورات السياسية اثر قرار التاميم جعل من ايران في المرتبة الثالثة بعد الكويت والسعودية ، رغم ان دخل الدولة من النفط تضاعفت ثلاث مرات مابين ٥١ — ٦٥ م(٢) اما الحكومات التي تبعت حكومة مصدق فقد اتهمت الكونسورتيوم بابطاء الانتاج وبالتالي اعاقة التطور الاقتصادي والاجتماعي في ايران وهدد الشاه ورئيس وزرائه بابطال الاتفاقية مع الكونسورتيوم اذا لم يتوصل الى صيغة جديدة بين الجانبين (٣) . كانت الحكومة الايرانية تطالب بزيادة الانتاج بنسبة ٢٠ ٪ سنويا ، الا ان الكونسورتيوم كان متخوفا من اثر هذه الزيادة على اسعار النفط . كانت شركات النفط ترى ان هناك فائضا عالميا في الانتاج مواكب لعدم وجود اسواق جديدة ، ولذلك فاصرار الدول المنتجة على زيادة انتاجها لم يكن يتناسب مع الحقائق الموضوعية للابسات صناعة النفط العالمية (٤) . فوق كل ذلك — ترى الشركات — ان زيادة الانتاج في ايران بهذه النسبة العالية سوف يعرض علاقات ايران مع الدول المنتجة للنفط لكثير من الاختبارات المرة . اما وجهة نظر ايران فكانت مستلة من الوضع الداخلي في البلاد وهي انها احوج نظرا لضخامة حجم السكان لعوائد نفطية كبيرة من حاجة الكويت وابو ظبي وبقية دول الخليج ذات التعداد السكاني الضئيل .

ينبغي التوضيح أن اوضاع صناعة النفط الايراني كانت لها آثارا واضحة على العلاقات الايرانية السوفييتية ، لذلك كان من الضروري الدخول في حيثياتها . فمن وجهة نظر السوفييت ان الكارتيل الدولي نظم مقاطعة النفط الايراني مابين ٥١ — ٥٣ م (اي فترة مصدق) ، وانه مضى في ضغطه على ايران منذ ذلك الحين حتى بعد سقوط حكومة مصدق المسؤولة عن قرار التاميم (٥) .

(1) New York Times, March 15, 1968.
(2) Hartshorn, J.E., «Oil Companies and Governments,» London, 1967, p. 324.
(٣) طرا على علاقات الجانبين تطورات وتغييرات جذرية استفادت منها ايران بصورة ملموسة .
(4) **Petroleum Press Service**, (April 1968), p. 127.
(5) Rachkov, Boris, in **International Affairs** (April 15. 1966).

وتضيف وجهة النظر هذه أن الغرب بحاجة لابقاء الانتاج النفطي الايراني على ماهو عليه من انخفاض حتى تظل ايران بعيدة عن التطور الاقتصادي والاجتماعي وزبون دائم الحاجة للقروض والمعونات والخبرات الغربية مقابل كونه مستودعا ضخما للمواد الخام (١) اما الشيوعيين الايرانيين فكالعادة كانوا اكثر تطرفا من السوفييت انفسهم واتهموا الشاه بانه لايستطيع حراكا مع الكونسورتيوم وبان الشركات هي السلطة الفعلية في ايران . طبعا التطورات التي طرات على علاقة الشاه بشركات النفط والاتفاقات الجيدة التي استطاع الشاه ان يستخلصها منها اثبتت عكس ذلك .

ينبغي ان نذكر هنا اهمية اوربا الغربية واليابان كمستوردين رئيسيين للنفط الايراني . وانه مهما تعرضت علاقة الشاه بشركات النفط الغربية العاملة في ايران لا يمكن ان يلغي من حسابه هذه الحقيقة . اما الاتحاد السوفييتي فاذا ما قرنت الكميات التي يستوردها من النفط الايراني بتلك الكميات التي يستوردها الغرب لاتضح انها قليلة ولذلك فليس من المنتظر من الشاه الا ان يحاول قدر الامكان الحفاظ على حسن علاقته بالغرب مع حسن الجوار والاتحاد السوفييتي . الا ان سياسة حسن الجوار هذه تطورت لتأخذ ابعادا سياسية واقتصادية وثقافية وانه من الصعوبة بمكان ان نعدد بتفصيل الاتفاقيات التجارية العديدة التي تربط ايران بالاتحاد السوفيتي وكتلة اوروبا الشرقية فاتفاقية ٦٣ م كانت تتعلق ببناء محطة توليد كهربائية وخزان مياه على حدود نهر ارس وتربية الاسماك تحت اشراف الخبراء السوفييت . الا ان اتفاقيتي يناير ٦٦ م ومارس ٦٧ م كانت اكثر طموحا من الجانبين نحو تعميق العلاقات الثنائية الاتفاقية الاولى تقضي بأن تزود ايران الاتحاد السوفياتي بالغاز الطبيعي لمدة اثني عشرة سنة وان يبنى خط انابيب (٤٢بوصة) يمتد من حقول النفط الايراني في خوزستان الى الحدود السوفييتية غربي بحر قزوين على ان تكون كمية الغاز الجاري في بادىء الامر لاتقل عن ١٠،٠٠٠ بليون متر مكعب سنويا ابتداء من سنة ٧٠م بالمقابل تكفل الاتحاد السوفييتي بتنفيذ عدة مشاريع اهمها مصانع الفولاذ في اصفهان وشراء قسط كبير من صادرات ايران ، معظم الصوف الايراني ،وثلثي صادرات ايران من الحديد الخام والجلود والحنطة ومايقارب ٤٠٪ من الكافيار الايراني الفاخر . علاوة على ذلك فقد كان الشاه يفكر في توليه ٦٦ م الاستعانة بالسوفييت للحصول على صواريخ مضادة للطائرات ، الا ان الولايات المتحدة بادرت في اعطاء الشاه اتفاقية ذات بنود ارحب من التي اعرضها السوفييت وهنا يدخل التسابق السوفييتي الاميركي تجاه كسب الشاه . ومع ذلك فقد زار رئيس الاركان الايراني الجنرال بهرام انيان موسكو في ديسمبر ٦٧ م للتباحث مع السوفييت حول التزود بالاسلحة السوفييتية على ان يتم التسليم في موعد اقصاه مايو ٦٨ م ،وفي نفس الوقت كان الشاه في الولايات المتحدة يحاول الحصول على صفقة اسلحة قيمتها ٦٠٠ مليون دولار تشمل طائرات مقاتلة Supersonic ودبابات حديثة وغيرها من الاسلحة الدقيقة المتطورة(٢).

هذا الاهتمام البالغ في الجانب العسكري لدى الحكومة الايرانية يعكس التغيير الاساسي الذي طرا على ميزان القوى في منطقة الخليج بصوره خاصة والجزيرة العربية بصورة عامة وقد بدا هذا الاهتمام يأخذ اشكاله الحادة منذ الاعلان البريطاني يناير ٦٨ عن نية الانسحاب من الخليج في موعد اقصاه ٧١ م (ميزانية الدفاع الايراني لسنة ٦٨م كانت ٥١٢ مليون دولار .) فقد بدات طهران تبدي قلقا حول مصالحها في المنطقة كقوة اقليمية رئيسية . قبل الاعلان عن نية الانسحاب البريطاني كانت هناك قضايا هامشية تعترض سبل علاقات جديدة بين ايران والشاطىء العربي مثل ما اذا كان الخليج يسمى فارسيا أم عربيا وعدم قبول ايران باستلام رسائل عليها طوابع بحرانية ... الخ . ووصفنا هذه المسائل بالهامشية ذلك لان تسمية الخليج تغير حقائق الاشياء والاوضاع في المنطقة ، الشرقي ساحل فارسي يخضع لسيادة دولة ايران والساحل الغربي ساحل عربي يخضع للدول العربية المطلة على الخليج ، والتسمية لن تغير من اوضاع السيادات الاقليمية او قواها . ولكن بعد الانسحاب البريطاني بدات تبرز اسئلة اكثر اهمية من مجرد التسميات . والسؤال الرئيسي هو كيف ينبغي ان يتشكل ميزان القوى الجديد بحيث يضمن للمنطقة الاستقرار السياسي مواكبا للازدهار الاقتصادي الذي تشهده ؟. الانكماش الاميركي في فيتنام والانسحاب البريطاني من عدن والخليج بدا يزيد من قناعة طهران بضرورة تحسين العلاقات مع السوفييت الذين ابدوا تفهما كبيرا للوضع الايراني وتخلوا عن كثير من مطالباتهم في ارض شمال ايران كما تخلو عن حزب توده الشيوعي الذي لم يعد يحصل على مساندة فعالة منهم . الا ان الشك المتبادل بين الشاه والسوفييت ظل سمه من سمات العلاقات الايرانية السوفييتية ونقصد بذلك طبعا ان شغف السوفييت ببترول الخليج وموقعه الاستراتيجي التي يبذلها الشاه داخل ايران . هذه البيانات لم يكن يدفع المسؤولين في ايران للبهجة .

(1) Kasatkin D., in **International Affairs** (January, 67), 94.
(2) **Christian Science Monitor**, Dec. 8, 1967; **New York Times**, May 22, 1968.